غابر الاندلس وحاضرها

(٩) العلم في الاندلس

قال لنا الدكتور روزيه[١] رئيس جامعة لوزان في سويسرا سابقاً انني طوفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الاعجاب ومما شهدته السدود القائمة إلى اليوم في ولاية بلنسية فان اهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأه أبناء جنسكم في القرون الوسطى ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعالم في أرض اندلس على نسف هذه السكور على وادي الاحمر وغيرها والا لهلك أهل ذاك الاقليم عطشاً ومن الاسف أن مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها فقبح من قضوا عليها وأوصلوكم إلى ما أنتم عليه من الانحطاط .

جملة لا يزال صداها يتردد في أذننا منذ فاوهنا بها العالم السويسري من بضع سنين وقد ذكرنا بها عهد الاندلس وعهد عمرانه الزاهر وارتقائه الباهر . ذكرنا بالامس أمة عربية اوروبية تشبه الغربيين في تصوراتها وآدابها وعلومها ولكنها شرقية عربية مسلمة باقامة شعائر دينها وأخلاقها وعاداتها وقلنا اننا معاشر العرب على كثرة عنايتنا أيام عزنا بتقييد علوم ديننا ولساننا وما إلى ذلك لم نكن في العناية بالعلوم التي هي اليوم العلوم الحقيقية كالرياضيات والطبيعيات والكيمياء والفلسفة والطب والفلك دون ذلك بكثير وإلا لما قامت مصانع الاندلس على النظام الذي يرى الناس أثره ويعجبون به على اختلاف العصور ولما أعجب الاستاذ روزيه اليوم بهندسة العرب لسدود بلنسية الباقية لعهدنا بعد انقراض دولة العرب من تلك البلاد زهاء أربعة قرون .

ولقد حدث الثقات ان الغربيين من المجاورين للاندلس كالفرنجة أي الفرنسيس

---

(١) من محاضرة « العرب في الاندلس » القيناها في النادي العربي بدمشق مساء ٢ حزيران ١٩١٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والالمان وسكان بر رومية أي الطليان وكانوا أمثل الافرنج مدنية لذاك العهد لم يكونوا الا دون جيرانهم عرب الاندلس في العلم واعمال العمران والصناعات والزراعة ولو لا علماء الكيمياء والهندسة والنبات والطب من العرب لتأخرت المدنية في اوربا زمناً طويلاً .

ولذلك كانت الاندلس في عهد العرب كعبة العلم يحج إليها أذكياء الطلاب من فرنسا وايطاليا وغيرهما كما يحج اليوم طلاب العلم إلى كليات فرنسا والمانيا وانكلترا والبلجيك وسويسرا وهولاندة .

أخذ عشرات من الافرنج العلوم عن عرب الاندلس وترجموها باللاتينية ومنها ما فقد أصله العربي اليوم وبقيت ترجمته فقط [١] . وان العلوم التي تلقاها جربرت الذي أصبح بابا رومية باسم سلفستر الثاني عن عرب الاندلس كانت موضوع اعجاب معاصريه حتى اتهموه بالسحر .

كانت الاندلس قبل تغلب بني أمية عليها سنة ٩٢ هـ خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الاجماع على انها من عمل ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بمملكتهم . ولما استقر الامر لبني أمية عني جماعة من أهلها بطلب الفلسفة ونالوا أجزاءً كثيرة منها وفي أيام الامير الخامس من بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن أي في أواسط المئة الثالثة تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم أي غير علوم الشريعة واللغة ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة .

ذلك لأن رجال الدين كانوا أصحاب صولة وتأثير في النفوس ومن عادة من جهل شيئاً أن يعاديه فتوهم بعضهم ان هذه العلوم الدنيوية مدرجة إلى الزهد في العلوم الاخروية فكانوا يشددون النكير على من يتعاطونها ولكن أكثر ملوك بني أمية ومن بعدهم من ملوك الاندلس كانوا أعقل من أن يطاوعوهم في النيل ممن يريدون الايقاع بهم لمخالفتهم لهم في العلوم التي يمتون بها .

اشتهر بين وسطي المئة الثالثة والرابعة من العلماء أبو عبيدة مسلم البلنسي المعروف

(١) راجع ما كتبه هوار في تاريخ العرب في أسماء نقلة الافرنج في العلوم عند العرب وما كتبه نالينو في كتابه علم الفلك عند العرب المطبوع في رومية .

هذه مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بصاحب القبلة كان عالماً بحركات الكواكب واحكامها وصاحب فقه وحديث ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة كان بصيراً بحساب النجوم والطب وغير ذلك متصرفاً في العلوم متفنناً في ضروب المعارف وكان معتزلي المذهب توفي سنة ٣١٥ ومنهم محمد بن اسمعيل المعروف بالحكيم وكان عالما بالحساب والمنطق نحوياً لغوياً توفي سنة ٣٣١

انتدب الامير الحكم في أيام أبيه عبد الرحمن صدر المائة الرابعة إلى العناية بالعلوم فاستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار الشرق عيون التواليف الجليلة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة فكثر تحرك الناس في أيامه إلى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم .

وقام بعده ابنه هشام فعمد إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها وأراد استخراج ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا الطب والحساب وأمر باحراق ما عدا ذلك وافسادها فاحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغاييرِ فعل ذلك تحبباً إلى عوام الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند اسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج عن الملة ومظنوناً به الالحاد في الشريعة فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك واضمحلت نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها ويظهرون ماتجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك إلى أن انقرضت دولة بني أمية من الاندلس .

قال هذا القاضي صاعد وتؤيده رواية ابن سعيد في المغرب قال وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه لما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة

شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فان زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل ان يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجاري .

قال ابن حزم : واما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى من انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن منصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره وكان مطرف الاشبيلي قد اشتغل بالتصنيف في علم النجوم الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف .

وقال أيضاً من رسالة أهل قرطبة انهم من التمكن في علوم القراآت والروايات فقط وكثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائي الاقطار فسيح المجال . وقد ذكر ابن حزم في رسالته هذه من نبغ في الاندلس من المؤلفين في علوم الدين والنسب والتاريخ والطب وعد بعض كتبهم قال واما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة . وقال لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من أهل بلادنا وكذلك أحمد بن نصر

وقال آخر واما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي من ذلك فيه كفاية وهو في الغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالشرق وإليه تنتسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيي الخدج كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لأبي الفرج وهو ممن ادرك المئة السابعة قال صاعد ولما افترق الملك في صدر المائة الخامسة من الهجرة بين ملوك الطوائف واقتعد كل منهم قاعدة من أمهات البلاد فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس واضطرت الفتنة إلى بيع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة انتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من العلوم القديمة كانت افلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر واظهر أيضاً كل من كان عنده من الرعية شيء ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حين ذلك في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً ثم أبيحت تلك العلوم الى أن زهد الملوك فيها وفي غيرها فقل طلاب العلم وصاروا أفراداً بالاندلس .

فمن أعلام هذه العلوم على ذاك العهد أبو غالب بن عبادة الفرائضي كان مشهوراً بعلم العدد وأبو أيوب عبد الغافر بن محمد أحد المهرة بعلم الهندسة ، وعبد الله بن محمد المعروف بالسري كان عالماً بالعدد والهندسة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء ومنهم أبو بكر بن أبي عيسى كان مقدماً في العدد والهندسة والنجوم وسائر العلوم الرياضية فكان يجلس لتعليم ذلك في أيام الحكم ، وعبد الرحمن بن اسمعيل بن زيد المعروف بالاقليدي كان متقدماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق ، وأحمد بن حماد القرطبي (٣٣١) عالم بالحساب والهندسة ، وأبو القاسم أحمد بن محمد العدوي كان معلماً بعلم العدد والهندسة نافذاً فيها ، وأبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالخمار السرقسطي كان متحققاً اماماً في علم النحو واللغة وله تآليف في الموسيقى ورسائل في الفلسفة . وأبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرحيط كان امام الرياضيين في الاندلس في وقته واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وكانت له عناية بارصاد الكواكب وله كتاب حسن في تمام علم العدد وهو المعنى المعروف بالمعاملات وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة توفي في سنة ٣٩٨ وقد أنجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالاندلس مثلهم فمن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي والكرماني وابن خلدون .

فاما ابن السمح القاسم اصبغ بن محمد بن السمح المهندس فكان متحققاً بعلم العدد والهندسة متقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وله تواليف حسنة في الهندسة وعمل الاسطرلاب والازياج ومنها زيجه الذي ألفه على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحد مذاهب الهند المعروف بالسند هند توفي سنة ٤٢٦ . واما ابن الصفار فهو ابو القاسم احمد بن عبد الله بن عمر كان متحققاً أيضاً بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك وكان له أخ يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنعاً لها منه .

واما الزهراوي فهو ابو الحسن علي بن سليمان كان عالماً بالعدد والهندسة معتنياً بعلم الطب . واما الكرماني فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن من أهل قرطبة احد الراسخين في علم العدد والهندسة رحل إلى الشرق وانتهى الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بعلم الهندسة والطب ثم رجع إلى بلاد الاندلس وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا ولم يدخلها احد من أهل الاندلس قبله ومحله من العلوم النظرية المحل الذي لايجارى فيه توفي بسرقسطة سنة ٤٥٨ . واما ابن خلدون (هو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ) فهو ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمي من اشراف أهل اشبيلية في علوم الفلسفة مشهور بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقويم سياسته توفي سنة ٤٤٩

ومن مشاهير تلاميذ ابي القاسم احمد بن عبد الله الصفار ابن برغوث والواسطي وابن شهر والقرشي والامظش المرواني وابن العطار . فاما ابن برغوث فهو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث كان متحققاً بالعلوم الرياضية مختصاً منها بايثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها وكان له مع ذلك تحقق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق وإشراف حسن على سائر العلوم توفي سنة ٤٤٤ . واما الواسطي فهو ابو الاصبغ عيسى بن احمد أحد المتمكنين من علم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك وله أيضاً بصر يحمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم . واما ابن شهر فهو ابو الحسن مختار بن شهر الرعيني كان بصيراً بالهندسة في النجوم متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقه شاعراً متكلماً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ . واما ابن العطار فهو محمد بن خيرة العطار فكان من تلاميذ ابن الصفار متقناً لعلم العدد والهندسة والفرائض وله بصر بصناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها .

ومن مشاهير تلاميذ ابن السمح ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو بصير بالعدد والهندسة معتن بصناعة الطب واحكام النجوم. وابو جعفر احمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار المتطبب . ومن نظراء هذه الطبقة عبد الله بن احمد السرقسطي كان نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده توفي سنة ٤٤٨ ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم الاشبيلي كان بصيراً بعلوم البرهان واللسان والمساءلة متفننا في ضروب المعارف صنعاً لطيف اليد توفي سنة ٤٢٠

ومن مشاهير اصحاب ابن برغوث ابن الليث وابن الجلاب وابن حي. فاما ابن الليث فهو محمد بن أحمد بن الليث كان متحققاً بعلم العدد والهندسة معتنياً بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه توفي سنة ٤٠٥ واما ابن حي فهو الحسن بن محمد التجيبي من أهل قرطبة كان بصيراً بالهندسة والنجوم كلفاً بصناعة التعديل وله فيها مختصر على مذهب السند هند وخرج من الاندلس سنة ٤٤٢ ولحق بمصر ثم رحل إلى اليمن واتصل باميرها المسبحي وكان ملكه اذ ذاك يشتمل على بعض افريقية وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن حظي عنده وتوفي سنة ٤٥٦ واما ابن الجلاب فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب احد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعي.

ومنهم ابو الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكناني المعروف بابن الوقشي من أهل طليطلة احد المتفننين في العلوم المتوسعين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق بصناعة الهندسة والمنطق والرسوخ في علم النحو واللغة والشعر والخطابة والإحكام لعلم الفقه والاثر والكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس بفضله عالم بالانساب والاخبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم ومن نظراء هولاء ابو جعفر احمد بن خميس بن عامر بن منيح من أهل طليطلة احد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب وهو من لدات القاضي ابي الوليد هشام بن احمد بن هشام وابي اسحق ابراهيم بن لب التجيبي المعروف بالقويدس قعد للتعليم بذلك زمناً وكان له بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم ونفوذ في العربية توفي سنة ٤٥٤ . ومنهم محمد بن عبد الله بن مرشد مولى ابن طلمس الوزير كان كاتباً كامل الصناعة يجمع الى ذلك النبوغ في علوم كثيرة من الحساب والتنجيم والهندسة توفي سنة ٤٤٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان في القرن الخامس للهجرة أفراد من الاحداث في الاندلس مشتغلون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة وهمم رفيعة فمنهم من سكان طليطلة وجهاتها أبو الحسن علي بن خلف بن أحمر وأبو مروان عبد الله بن خلف الاستجي وأبو جعفر أحمد بن يوسف التهلاكي وعيسى بن أحمد بن العالم وابراهيم بن سعيد السهيلي الاصطرلابي . ومن أهل سرقسطة الحاجب أبو عامر بن الامير المقتدر بالله وأبو جعفر أحمد بن جوشن . ومن أهل بلنسية أبو زيد عبد الرحمن بن سيد .

وأبرع هؤلاء في الهندسة علي بن أحمر الصيدلاني وأبو جعفر أحمد بن جوشن واعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك أبو اسحق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال — والزرقيال نسبة لآلة سموها الزرقلة وهي صحيفة لرصد الكواكب — فانه أبصر أهل القرن الخامس بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية وأحمد بن يوسف يعرف بابن كاد (حماد ؟) كان من أهل المعرفة بالعدد وصناعة النجامة، وبنى أزياجه ومنها القبس والمستنبط على أرصاد أبي اسحق الطيلطلي المعروف بالزرقالة. واما أبو عامر بن الامير بن هود فهو مع مشاركته لهؤلاء في العلم الرياضي منفرد دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعي والعلم الالهي .

وكان عبد الرحمن بن اسمعيل بن بدر المعروف بالاقليدس الأندلسي متقدماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق . وموسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي قرأ علم الأوائل وأحكم الرياضيات وشدا أشياء من المنطقيات وأبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة عالماً بعلوم الاوائل لم يبلغ أحد درجته من أهل عصره في مصره وله تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة أربى فيها على المتقدمين . قال القفطي الا أنه يتمسك بالسياسة المدنية وينحرف عن الأوامر الشرعية استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكانت وفاته في سنة ٥٣٣

وممن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلسفة أبو محمد بن حزم القرشي وكان أبوه أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزر لابنه المظفر وكان ابنه أبو محمد وزيراً أيضاً لعبد الرحمن المستظهر بالله ثم نبذ هذه الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن وعني بعلم المنطق . ومنهم أبو الحسن علي بن اسمعيل بن سيده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأعمى وكان أبوه أيضاً أعمى عني بعلوم المنطق عناية طويلة والف فيها تأليفاً كبيراً ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس وهو بعد هذا أعلم أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار وله في اللغة تواليف جليلة منها المحكم والمحيط الاعظم والمخصص وشرح اصلاح المنطق وشرح كتاب الحماسة ٤٥٨

ومن أعاجيب النوابغ الاندلسيين الذين فقدوا بصرهم ولم يفقدوا بصيرتهم ابن الحناط الكفيف الذي قال فيه ابن حيان انه كان أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام بصيراً بالآثار العلوية عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية . ولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفىء نور عينيه بالكلية فازداد براعة ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها إلى ما لا يهتدي البصير ولا يخطىء الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده الأعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة .

واما العلم الطبيعي والعلم الالهي فلم يعن أحد من أهل الاندلس بهما كبير عناية ومن المشتغلين بهما ابن النباش التيجاني وأبو عامر بن الامير بن هود وأبو الفضل بن حسداي الاسرائيلي . وأما صناعة الطب فلم يكن بالاندلس من استوعبها ولا لحق بأحد من المتقدمين فيها وأول من اشتهر منهم بالاندلس أحمد بن اياس من أهل قرطبة ومحمد بن عبد الله الاوسط ويعرف بالحراني ومنهم يحيى بن اسحق أحد وزراء الناصر لدين الله وسعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه مولى الامير هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل وهو ابن أخي أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب العقد وكان له بصر بحركات النجوم ومهاب الرياح وتغيير الاهوية . ومنهم عمر بن بريق واصبغ بن يحيى وأحمد بن حكم بن حفصون وكان هذا طبيباً نبيلاً دقيق النظر بصيراً بالمنطق مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومنهم محمد بن تمليخ وأبو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن المكناني كان عالماً بالطب حسن العلاج ومنهم عبد الملك الثقفي كان عالماً بالطب والهندسة وكان الطب أغلب عليه ومنهم عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحراني . ومنهم محمد بن عبدون الجبلي وكان قبل أن يتطبب مؤدباً في الحساب والهندسة ومنهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل وعبد الله بن اسحق المعروف بابن الشناعة المسلماني الاسرائيلي وابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكناني المظفر وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة، ومنهم ابو العرب يوسف بن محمد احد المتحققين بصناعة الطب توفي سنة ٤٣٠

ومن اشهرهم احمد بن ابراهيم الانصاري من أهل بلنسية كان من أهل العلم بالفرائض والحساب لايجارى في التعاليم قعد لتعليم الحساب والهندسة ٥٩٣ ومنهم ابو عثمان سعيد بن البغونش عالم بعلم العدد والهندسة والطب ٤٤٤ ومنهم الوزير ابو المطرف عبد الرحمن اللخمي عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وارسطوطاليس وغيرهما من الفلاسفة وتمهر في علوم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمنه كتاب ديسقوريدوس وكتاب جالينوس في الادوية المفردة وكان له في الطب منزع لطيف وذلك انه لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية أو ما كان قريباً منها فاذا دعت الضرورة إلى الأدوية فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها فان اضطر إلى المركب لم يكثر التركيب بل اقتصر على أقل ما يمكن منه .

ومنهم أبو مروان بن زهر الاشبيلي وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي وأبو عبد الله محمد البجائي المعروف بابن النباش معتن بصناعة الطب ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ومشاركة في الالهي وتحقق بعلم الأخلاق والسياسة وبصر بصناعة المنطق . وممن عني بطلب الفلسفة والهندسة والمنطق أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف ابن عساكر كان صنع اليدين متصرفاً في ضروب من الأعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة .

ولم تزل صناعة احكام النجوم نافقة بالأندلس قديماً وحديثاً فمن مشاهير المشتغلين بها أبو بكر يحيى بن أحمد المعروف بابن الخياط وأبو مروان الاستجي أحد المتحققين بعلم الأحكام والمشرفين على كتب الأوائل والأواخر وله في التسييرات ومطارح الشعاعات وتعليل بعض أصول الصناعة رسالة فاضلة لم يتقدمه أحد إليها . ومن المذكورين أبو الاصبغ عثمان القري من أهل قرطبة وكان علمه الذي ينسب اليه ويغلب عليه التنجيم ومنهم عبد الرحمن بن وافد اللخمي من أهل طليطلة رحل إلى قرطبة فلقي بها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القاسم خلف بن عباس الزهراوي واخذ عنه علم الطب وكان مع تقدمه في ذلك فقيهاً عالماً متفنناً وله في الفلاحة مجموع مفيد وكان عارفاً بوجوهها وهـــو الذي تولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة بطليطلة توفي سنة ٥٦٨ وممن لم يشتهروا محمد بن عيسى بن ينق ابو عامر من أهل شاطبة لازم ابا العلاء بن زهر باشبيلية واخذ عنه علمه وبرع في الطب والادب وتوفي سنة ٥٤٧

ومن الاطباء بالاندلس جواد الطبيب النصراني كان في ايام الامير محمد بن عبـــد الرحمن الاوسط وله اللعوق المنسوب إلى جواد وله دواء الراهب والشرابات والسفوفات. وكان خالد بن يزيـــد بن رومان النصراني بقرطبة صانعاً بيـــده عالماً بالادوية الشجارية وابن ملوكة النصراني كان في ايام الامير عبيد الله واول دولة الامـــير عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق وكان على بابه ثلاثون كرسياً لقعود الناس وعمران بن ابي عمرو واسحق الطبيب المسيحي كان مقيماً بقرطبة وكان صانعاً بيده مجرباً يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع أهل دهره ومنهم سليمان ابو بكر بن تاج كان في دولة الناصر وابن ام المؤمنين وابو بكر احمد بن جابر وابو عبد الملك الثقفي كان طبيباً أديباً عالماً بكتاب اقليدس وبصناعة المساحة وهرون بن موسى الاشبولي وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم . والرميلي كان بالمرية في ايام ابن معـــن المعروف بابن صمادح ويلقب بالمعتصم بالله .

ومنحم بن الفوال يهودي من سكان سرقسطة كان متقدماً في صناعة الطب متصرفاً في علم المنطق وسائر علوم الفلسفة ومروان بن جناح كان يهودياً وله عناية بصناعة المنطق وتوسع في علم لسان العرب واليهود ومعرفة جيدة بصناعة الطب. ومنهم اسحق بن قسطار وكان يهودياً أيضاً وكان بصيراً باصول الطب مشاركاً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة وله تقدم في اللغة العبرانية وبراعة في فقه اليهود وهو حبر من احبارهم . ومنهم حسداي بن اسحق وكان من احبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم وهو أول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون مداخل تاريخهم ومبادىء سنيهم فلما اتصل حسداي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة توصل به إلى استجلاب ماشاء من تآليف اليهود بالمشرق فعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا يجهلون واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه.

ومنهم الفضل حسداي من ساكني مدينة سرقسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس عني بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فاحكم علم لسان العرب ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة وبرع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها واتقن علم المنطق وتمرن بطرق البحث والنظر واشتغل أيضاً بالعلم الطبيعي وكان له نظر في الطب ومنهم ابو جعفر بن أحمد بن حسداي كان آية في الطب والمنطق. ومنهم ابن سمحون ابو بكر حامد.

وكان ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسية واعيان أهل الاندلس واكابرهم فاضلاً في معرفة الادوية المفردة وكان أبو جعفر الغافقي والشريف محمد بن محمد الحسني وخلف بن عباس الزهراوي وابن بكلارش من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وابن الصلت امية بن عبد العزيز من بلد دانية من شرق الاندلس وهو من اكابر الفضلاء في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم وكان اوحد في العلم الرياضي متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود.

ومن أعظم فلاسفة الاندلس ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة وكان في العلوم الحكمية علامة وقته متميزاً في العربية والادب والطب متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود قالوا انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم فانه إذا قرنت اقاويله فيها باقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهم بعد ابي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ودوّنا فيها بان لهذا الرجحان في اقاويله وفي حسن فهمه لاقاويل ارسطو، والثلاثة ائمة دون ريب، ومن حكمائهم الالاهيين أو المتصوفين الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات دفين دمشق.

ومنهم ابو العلاء بن زهر كان غاية في علوم الاوائل والطب وابو مروان بن ابي العلاء زهر وكان من كبار الاطباء. والحفيد ابو بكر بن زهر كان متميزاً في العلوم ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ومنهم ابو الحفيد محمد بن ابي بكر بن زهر وابو جعفر بن هارون الترجالي من اعيان أهل اشبيلية وكان محققاً للعلوم الحكمية متقناً لها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

معتنياً بكتب ارسطو طاليس وغيره من الحكماء المتقدمين فاضلاً في صناعة الطب عالماً بصناعة الكحل . وأبو الحجاج يوسف بن موراطير من شرقي الاندلس ، وموراطير قرية من بلنسية ، كان فاضلاً في صناعة الطب والأمور الشرعية أديباً شاعراً . ومنهم ابن أخته أبو عبد الله بن يزيد وأبو مروان عبد الملك بن قبلال وأبو اسحق ابراهيم الداني وكان أمين البيمارستان وطبيبه بالحضرة وكذلك ولداه وأبو يحيى بن قاسم الاشبيلي كان صاحب خزانة الاشربة والمعاجين التي يأخذها الخليفة المنصور من عنده .

وأبو الحكم بن غلندو الطبيب وأبو جعفر أحمد بن حسان وأبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان وأبو محمد الشذوني وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة والطب مشهور بالعلم وأبو الحسين بن اسدون شهر بالمصدوم الطبيب وعبد العزيز بن مسلمة الباجي وأبو جعفر بن الغزال وأبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري وابن الحلاء المرسي وأبواسحق ابن طملوس من جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأبو جعفر الذهبي وأبو العباس بن رومية النباتي العشاب وأبو العباس الكنبنازي وابن الأصم وغيرهم من الأطبـــاء الذين كانوا يجمعون إلى الطب أدباً وشعراً أو فقهاً وحديثاً وقرآنا أو فلسفة ومنطقاً أو نجوماً أو كيمياء.

هذه جملة اجمالية في بعض رجال العلم غير الديني في الاندلس ذاك القطر الذي إليه تنسب نحو نصف المدنية العربية الذي نقل أهله المدنية القديمة إلى أهل المدنيـة الحديثة فكانوا خير صلة وعائد بين الرومان واليونان والفرس وبين الانكليز والطليان والالمان والفرنسيس وقد تم ما تم من ذلك بفضل عقول خلفاء العرب وملوكهم هناك فقد كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك الاندلس عالماً مفنناً مكرماً للعلماء والشعراء ولم يزل يبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب وكان ممن صحبه من العلماء والمتفننين أبو بكر محمد بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين وكان هذا متحققاً بجميع أجزاء الفلسفة يأخذ الجامكية مع عدة أصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرمـاة والاجناد إلى غـير هؤلاء من الطوائف وكان يقول لو نفق عليهم علم الموسيقى لأنفقته عندهم ولم يزل أبو بكر يجلب إليه العلماء من جميـع الأقطار وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه إلى أبي الوليد محمد بن رشد وأشار إليه بتلخيص كتب الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ارسطاطاليس لأن أمير المؤمنين كان يشكو من قلق عبارته أو عبارة المترجمين عنه وغموض أغراضه .

ومن المتأخرين في هذه العلوم أبو علي الصعلعل حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجدالاعظم من غرناطة (٧١٦) قال لسان الدين . وكان فقيهاً اماماً في علم الحساب والهيئة أخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاطلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجعة وقته . ومثل أبى جعفر أحمد بن حسن بن باضة السلمي الموقت بالمسجد الأعظم بغرناطة كان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر وتستدعي الحيرة جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع وبلغ في ذلك درجة عالية ونال عناية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في أثمانها أخذ ذلك عن والده الشيخ المتقن شيخ الجماعة في هذا الفن . ومثل أبى العباس أحمد بن مفرج النباتي المشهور (٦٣٨) وابن جابر الرياضي المشهور والوزير ابن الحاج (٧١٤) كان من العارفين بالحيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلة الحربية الجافية والعمل بها انتقل إلى فاس واتخذ الدولاب المنفسح القطر البعيد المدى والمحيط المتعدد الأكواب الخفي الحركة . ومنهم ابن خاتمة الأديب الطبيب من أهل المئة الثامنة الذي كتب في الوباء[1] كتاباً عرف فيه الميكروب والجراثيم وأثبت العدوى بما لا يقل عن عالم من علماء هذا العصر وفيه يقول ابن الخطيب انه حسنة من حسنات الاندلس . ومن رجالات الاندلس واعلامها ابن طملس الوزير كان كاتباً مهندساً ، إلى من ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدهم أناس من المؤرخين في صف العلماء جهلاً وتعنتاً .

هذا في العلوم الطبية والطبيعية والفلسفية والفلكية والرياضية وقد نبغ في الاندلسيين من العلماء في التاريخ والجغرافيا والأدب والرحلات أفراد ما برحت كتاباتهم مرجعاً إلى اليوم لكل عالم ومؤلف .

(١) المقتطف م ٢٨ ص ٣٠٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد اشبهوا علماء الغرب لهذا العهد في العناية بالعلوم المادية وبرزوا فيها حتى نشأ لهم أئمة عظماء على ما رأيت سابقاً وألفوا فيها فأحسنوا احسانهم في صنائع لا يحسنها إلا صنع الأيدي دقاق النظر وكثيراً ما كانوا يبسطون المسائل ويتوسعون في تحقيقها ومنهم من يؤلف العشرة والعشرين مجلداً في علم واحد كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس فألف كتابه في ستين مجلداً وألف أحمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة كتاب السماء والعالم في مئة مجلد وموضوعه اللغة جعله على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة . وكثر فيهم المكثرون من التآليف المجودون فيها ومنهم من كان له مئة تأليف جيد . وقالوا ان تآليف ابن حزم بلغت نحو أربعمائة مجلد وتواليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي بلغت ألفاً .

ومن مشاهيرهم ابن جبير الكناني (٦١٤) الذي رحل إلى المشرق كما رحل كثير من علماء الاندلس قبله إلى مصر والشام والعراق والحجاز وغيرها في طلب العلم وأخذ الحكمة ثم عادوا إلى بلادهم وكتب رحلته المشهورة البديعة .

واشتهر في الجغرافيا أبو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ صاحب كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك ومحمد بن أبي بكر الزهري الغرناطي من أهل المئة السادسة والشريف الادريسي صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ويقال له كتاب رجار وذلك لأنه صنفه باسم رجار الثاني صاحب صقلية وجنوبي ايطاليا سنة ٥٤٨ وغيرهم .

ومن مؤرخيهم الحميدي وابن حيان وابن خلدون وابن الفرضي وابن بسام وابن بشكوال وابن الابار وابن سعيد وابن الخطيب ومن أدبائهم المشهورين ابن جزي وابن هاني وابن سهل الاسرائيلي ويحيى القرطبي وابن رزين وابن عمار وابن لبون والباجي وابن الدباغ وابن الجد وابن القبطرنة وابن عبد البر وابن السيد وابن عصام وابن عطية وابن خفاجة وابن وهبون وابن اللبانة وابن الصائغ وابن سارة الشنتريني وعبادة وابن وهبون وابن خروف وابن خاقان والمصحفي والأشجعي وابن جهور وابن سلمة واللماني وابن برد وابن أبي أمية ومنذر بن سعيد والزبيدي وابن القوطية وابن العربي (أبو بكر) وابن الأعلم والرمادي . ومن أديباتهم حفصة بنت الحاج الركوبي وعائشة بنت قادم وفاطمة الشيلاري وولادة بنت المستكفي بالله ومريم الفيصولي (الفصولي) وصفية بنت عبدالله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التربي والغسانية والبلشية والوادي آشية ولبنى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن ومزنة كاتبة الأمير الناصر لدين الله وغالية المعلمة وريحانة المقرئة وفاطمة المغامي وقمر البغدادية ومحسانة التميمية وأم العلا بنت يوسف الحجارية وأمة العزيز الشريفة الحسنية وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح المرية . والعروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون واعتماد جارية المعتمد المشهورة بالرميكية والعبادية جارية المعتضد وبثينة بنت المعتمد ابن عباد . وحفصة بنت حمدون . وزينب المرية . وغاية المنى وعائشة القرطبية وأسماء العامرية وأم الهناء بنت القاضي عبد الحق ومهجة القرطبية وهند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي الشلبية . وحمدة بنت زياد المكتب وأختها زينب قال ابن سعيدانهما شاعرتان أديبتان من أهل الجمال والمال والمعارف والصون إلا أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها . وسعدونة وغيرهن .

هذه حالة العلوم في تلك المملكة التي بادت وباد سلطانها وقد رأيت كيف كثر المهندسون في بلنسية وغرناطة وقرطبة واشبيلية وغيرها من حواضر الاندلس وبأعمال هؤلاء الأعلام زخر بحر العمران وقامت مدنية العرب على امتن بنيان حتى دهش بها ابن القرن العشرين العلامة روزيه السويسري على ما تقدم بك آنفاً .

للبحث بقية

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net